IUGJIS
Vol 29, No 4, 2021, pp 263-283

ISSN 2410-5201

مجلةالجامعةللدراساتالإسلامية (عقيدة – تفسير – حديث)

تاريخ الإرسال (2020-07-07)، تاريخ قبول النشر (2020-11-01)

"منهج الشيخ مصطفى صبري في الرد على شبهات إنكار وجود الله"

اسم الباحث الأول: عبد السلام محمدعساف

اسم الباحث الثاني: د. أحمدعبدحسين العوايشة

اسم الجامعة والبلد: أصول الدين- الشريعة- الجامعة الأردنية - الأردن

البريد الالكتروني للباحث المرسل:
E-mail address: Alasafjo_1981@yahoo.com

https://doi.org/10.33976/IUGJIS.29.4/2021/10

الملخص:

تتوقف هذه الدراسة بالتحليل والنقد عند منهج الشيخ مصطفى صبري في الرد على شبهة إنكار وجود الله تعالى من خلال آثاره العلمية، بالكشف عن الضوابط المنهجية: النقلية والعقلية التي سلكها في معالجة هذه القضية.

اعتمد الباحث (المنهج الاستقرائي) لاستقراء النصوص وجَمْعِها في حدود موضوع الدراسة، وسلك المنهج الوصفي في تحليل النصوص وتفسيرها واستخلاص النتائج، ملتزما بحدود البحث في التركيز على آراء الشيخ مصطفى صبري في مسألة وجود الله تعالى وإبطال الشبهات حولها والرَّد على المخالفين.

ومن أبرز النتائج التي توصل إليها البحث أنَّ الشيخ مصطفى صبري ردَّ على الشبهات التي ثارت حول إنكار وجود الله من خلال الجمع بين الأدلة النقلية المستفادة من الكتاب والسنة والأدلة العقلية المستفادة من علم المنطق والكليات العقلية، كما أظهرت النتائج أنَّ الشيخ مصطفى قد وضّح في منهجه العقلي أنَّ وجود الله مبني على الإرادة الإنسانية، والفطرة الإلهية وملكة الإدراك.

كلمات مفتاحية: إنكار اللَّه، مصطفى صبري، الرد على الشبهات، الأدلة، وجود اللَّه.

Sheikh Mustafa Sabri's method in responding to suspicions of denying the existence of God

Abstract

The current study, entitled "Sheikh Mustafa Sabri's approach to responding to suspicions of denying the existence of God", aimed at identifying Sheikh Mustafa Sabri's approach to responding to suspicions of atheism through his scientific implications, with clarification of both his mental and transmission approach to responding suspicions.

In order to achieve the objectives of the research, the researcher relied on (the inductive approach) to extrapolate the texts and reach the desired results, while following the (descriptive approach). The limits of the research were to focus on Sheikh Sabri's method and opinions on the issue of the existence of God Almighty, to deny suspicions about it, and to respond to those who violate it.

Among the most prominent findings of the research is that Sheikh Mustafa responded to the suspicions that arose about denying the existence of God by combining the definitive legal evidence of God and the bright mental evidence. The results also showed that Sheikh Mustafa has made clear in his mental method that the existence of God is based on the will and on Divine instinct and perception.

Keywords: God's denial, Mustafa Sabri, responding to suspicions, evidence, and God's existence.

المقدمة:

على الرغم من وجود ظاهرة الإلحاد قديما وحديثا إلا أنها في جوهرها ظاهرة طارئة على الفكر البشري، فالأصل المقرّر في الحياة الإنسانية هو الإيمان، وهو الذي جزمت به الكتب السماوية ويدلّ عليه صريح العقل السليم من الآفات والشبهات ، ويظهر الإلحادُ في سياق الاضطرابات الروحية الكبرى للبشرية ، ممّا يعني أنّ الأصل هو الإيمان ، وهو بحسب عبد الرحمن بدوي " نتيجةٌ لازمةٌ للنفس التي استنفدت كلّ إمكانياتها الدينية "[1].

لقد عرفت البشرية الإلحاد قديما ، ويرجع به بعض المؤرخين إلى الحضارة الهندية حيث ظهر القول بإنكار الصانع وتعطيل فكرة الخلق الإلهي للوجود [2]، وهي الفكرة التي تسرّبت إلى الفكر اليوناني الذي كان يدين بالوثنية وتعدّد الآلهة ولكن وُجد بين فلاسفة اليونان عدد كبير من الفلاسفة الملحدين ، وقد تتبع رمسيس عوض السياق التاريخي لظاهرة الإلحاد في اليونان ابتداء من سقراط الذي حُكم عليه بالموت بتجرّع السمّ عام 399 قبل الميلاد بتهمة الهرطقة والسخرية من الآلهة اليونانية [3] ، وفي سياق الثقافة العربية الإسلامية تتبّع عبد الرحمن بدوي ظاهرة الإلحاد ورصد عددا من المقولات التي تبلورت على يد بعض الشخصيات التي عُرفت بالإلحاد وإنكار النبوة مثل ابن الراوندي وأبي بكر الرازي الفيلسوف وغيرهما ، ممّا يُشير إلى تعدّد منابع الإلحاد كظاهرة ثقافية موجودة في شتى الشعوب والحضارت [4].

ويفرّق مؤرخو الأديان بين سياقين للإلحاد : سياق قديم قبل عصر التنوير العلمي الذي شهده الغرب الحديث ، وسياق حديث ظهر مع بزوغ التقدم العلمي المتسارع في الغرب في القرن الثامن عشر وما بعده حيث تمّ الإجهاز عل المنظور الديني للوجود ، وحلّ مكانه المنظور العلمي المادي الذي لا يرى في الكون سوى طبيعة ميكانيكية مسؤولة بنفسها عن جميع قوانينها ، فنشأت ظاهرة " الإلحادالعلمي " التي تقترب من حدود العداوة الشخصية لفكرة الألوهية [5] ، ولقد كان لهذا السياق الحديث الأثر العميق في انتشار فكرة الإلحاد في المجتمعات المعاصرة لا سيّما بين المثقفين الذين أُتيح لهم الذهاب إلى الغرب أو معرفة لغاته ، وكان العالم العربي الإسلامي من أكثر المجتمعات التي تعرضت لهذا الإشعاع الإلحادي الخطير ولا سيّما بين الحربين العالميتين حيث ازاددت وتيرة الإلحاد بالتسارع في الغرب ، وانتقل ذلك بشكل ملحوظ إلى العالم الإسلامي حتى وصل الجراة ببعض المثقفين المصريين ان يكتب رسالةً إلحادية بعنوان : " لماذا أنا ملحد ؟" [6]. وحين ظهر كتاب " من تاريخ الإلحاد في الإسلام" لعبد الرحمن بدوي عام 1845 م ، احتفلت به الأوساط الثقافية المصرية باعتباره حاجةً مُلحّة تحتاجها الثقافة والمجتمع لأنه يؤرخ لظاهرة الإلحاد في مقابل التأريخ لظاهرة الإيمان التي سيطرت على طبيعة التفكير في الثقافة العربية الإسلامية .

في هذا السياق الحضاري والثقافي المضطرب تبلورت جهود الشيخ مصطفى صبري العلمية في نقد الإلحاد والعلمانية وكان الشيخ قد وصل إلى مصر عام 1932م مُهاجرا بدينه بعد الضغوط الكبيرة التي تعرّض لها في حكم الكماليين في تركيا ، وكان قد خاض في بلاده معارك شرسة مع العلمانية والنزعات الإلحادية التي هيمنت على تركيا المسلمة في تلك المرحلة التاريخية العصيبة من تاريخها المعاصر ، وقد كان يؤمّل خيرا في هجرته هذه ، وأن تكون الأوضاع في مصر خيرا من أوضاع بلاده تركيا لكنه فوجئ بهيمنة الفكر الغربي الإلحادي على عقول الطبقة المثقفة المصرية ، وانتشار التفكير العلمي الصِّرْف الذي ينكر المعجزات ويريد صياغة الدين في حدود العقل البشري تقليدا للغرب الذي وصل الى هذه المرحلة بعد صراعه المرير مع رجال الكنيسة .

1 – بدوي ، عبد الرحمن ، من تاريخ الإلحاد في الإسلام ، ص7.

2 – الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص235.

3 – عوض ، رمسيس ، الإلحاد في الغرب ، ص7.

4 – انظر المناقشة النقدية المتينة لهذه الظاهرة في : دراز ، محمد عبد الله ، الدين ، مقدمات ممهدة لتاريخ الأديان ، ص 80.

5 – كولينز ن جيمس ، الله في الفلسفة الحديثة ، ترجمة فؤاد كامل ، ص218.

6 – هو إسماعيل أدهم من مصر كتبها عام 1936 ، ومات منتحرا عام 1940 تعبيرا عن احتجاجه على عدم فهمه لمغزى الوجود الإنساني .

لقد أشار الشيخ مصطفى صبري إلى هذه الظروف وحجم المشقة التي لاقاها في مصر بعد وصوله إليها ، وخيبة الظن التي لم تكن في الحسبان حيث قال : " كان ظني عند مغادرة تركية مهاجرا إلى بلاد العرب التي جاء نور الإسلام منها أني أستريحُ من جهاد الملاحدة ، لكنّي وجدتُ الجوّ الثقافي بمصرَ أيضاً مسموما من تيار الغرب ، فشقّ هذا على نفسي أكثرَ ممّا شقّ عليّ موقفُ تركية الحديثة من ذلك التيار ، كما شقّ عليّ وقوفي على أنّ إخواني العربَ يفضّلون تركيةَ هذه على تركية القديمة المسلمة ، فرأيتُهم توغّلوا في تقليد الغرب ، وسابقوا الترك في الافتتان به "[7]، وتزداد نبرةُ الأسف والحسرة لدى الشيخ مصطفى صبري على ما آلت إليه الاوضاع في مصر وكيف رضخ مفكروها وعلماؤها لمنطق الغرب الحديث فيقول : " وجدتُ العلمَ الحديث الغربيّ فيها الناظرَ إلى الأديانِ نظرَةً إلى الأساطير ، انطقَ لساناً من علم أصول الدين الإسلامي ، وأعلى صوتاً حتى عند الأزهريين ، أو على الأقلّ عند ذوي القول السائد منهم "[8].

إنّ هذه الظروف الحضارية والثقافية التي لا تُقيم وزناً للدين قد مهّدت لصعود نجم الإلحاد في العالم العربي والإسلامي ، وعلى الرغم من شراسة الهجمة على الدين وشيوع روح السخرية من القِيَم الدينية وانتشار روح الإلحاد إلى درجة المجاهرة به إلا أنّ ذلك كله قد دفع العديد من علماء الدين والمفكرين الذين تربطهم علاقة الانتماء القوي بهذه الأمة إلى التصدي لهجمات الإلحاد الجديد ، وكان من بين أبرز الشخصيات التي تصدّت لشبهات الإلحاد الشيخ مصطفى صبري آخر شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية قبل إلغاء الخلافة الإسلامية على يد كمال أتاتورك عام 1924م ،والذي كرّس حياته للدفاع عن الدين الحنيف، فقد كان عالماً مرموق المكانة بين علماء عصره ولا سيّما في العقليات والمنطق فضلا عن كونه فقيها حنفيا بارزا ، درس على كبار علماء عصره[9] وهو تركي الأصل ولد ونشأ في الأناضول وكانت له العديد من الآثار العلمية المكتوبة باللغتين التركية والعربية، بالإضافة إلى المقالات التي دافع من خلالها عن الإسلام، ودحض آراء الملاحدة وأفكارهم الإلحادية، وعارض فيها العلماء المسلمين الذين يفسرون الدين وفكرة الوجود طبقا لروح العصر، وتمثلت أبرز مؤلفاته التي دافع فيها عن فكرة الوجود في كتابه الموسوعيّ الشهير " موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين"الذي وصف بأنه عبارة عن عدة كتب في كتاب واحد، وكتاب"القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون"، وكلا الكتابَيْن مطبوعٌ متداول ، حيث وظف الشيخ المعطيات النقلية والعقلية في دحض هذه الشبهات وتفنيدها تمهيدا لإبطالها ، وهو ما سيعمل البحث الحالي على الكشف عنه من خلال واحدةٍ من قضاياه الكبرى على المستوى الموضوعي والمنهجي .

***- أسباب اختيار البحث :**

تتمثل أسباب اختيار البحث في الرغبة في الكشف عن موقف الشيخ مصطفى صبري من قضية إنكار وجود الله تعالى كقضية رئيسية من بين مجموعةٍ من القضايا العقائدية التي تولى الدفاع عنها ، وتحتل هذه القضية مركزاً جوهريا ينبني على إثباته إثباتُ جميعِ ما بعده من القضايا الفكرية والشبهات الاعتقادية ، مع التعرف إلى المعطيات المنهجية ومسالك التفكر التي سلكها الشيخ مصطفى صبري في بناء ردوده العلمية ليكون هذا البحث مقدمة لفهم طبيعة التفكير لدى هذا العالم الموسوعي ، فضلاً عن وجود حاجة ماسّة لتعريف الأجيال بجهود الرواد الكبار الذين حملوا أعباء الدفاع عن حقائق العقيدة ، ووقفوا بصلابة أمام المدّ الإلحادي .

7 – صبري ، مصطفى ، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين ج1ص23.

8 – المصدر السابق ج1ص98.

9 – للاطلاع على التكوين العلمي الأصيل والمتين للشيخ مصطفى صبري ، انظر : القوسي ، مفرّج ، مصطفى صبري : المفكر الإسلامي والعالِم العالمي ، ص 171 فما بعدها حيث استوعب جميع مراحل الطلب العلمي للشيخ مصطفى صبري .

مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث الحالي في أنّ مشكلة الإلحاد ما زالت موجودةً داخل الحياة العربية الإسلامية ، وربما أصبحت أكثر شيوعاً لأسبابٍ كثيرةٍ عقلية واجتماعية ، الامر الذي يُحتّم على الباحثين ضرورة معالجة هذه الظاهرة من خلال بحوثٍ علمية تكشف عن الجهود الرصينة التي تبلورت في سياق الرد على الإلحاد ، وفي هذا البحث تمّ اختيار الشيخ مصطفى صبري للوقوف على جهوده ومنهجه في الرد على هذه القضية تحديدا على الرغم من انخراطه في الردّ على كثير من القضايا الاعتقادية الفرعية .

حدود البحث:

تتمثل حدود البحث في التركيز على منهج وآراء الشيخ صبري في مسألة وجود الله تعالى وإنكار الشبهات حولها والرَّد على المخالفين لها.

أسئلة البحث:

1. ما الشبهاتُ التي طرحها منكرو وجود الله ؟
2. ما موقف الشيخ مصطفى صبري من شبهة إنكار وجود الله؟
3. ما الضوابط المنهجة التي اعتمدها الشيخ مصطفى صبري في مواجهة شبهات إنكار وجود الله؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى:

1_ معرفة طبيعة الشبهات المتعلقة بإنكار وجود الله تعالى .

2_ الكشف عن الرد العلمي القادر على إبطال هذه الشبهات .

3_ الكشف عن منهج الشيخ مصطفى صبري في الرد على هذه الشبهات .

4_ معرفة ضوابط المنهجين: النقلي والعقلي اللذَيْن سلكهما الشيخ مصطفى صبري في إبطال الشبهات .

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

1_ أنّ الإلحاد لم يكن حدثاً تاريخيا انتهى وجوده في المجتمعات البشرية بل ما زال موجودا ، ويتخذ صوراً جديدة ضمن معطيات جديدة أيضا تحتاج إلى مواصلة البحث فيه ، والردّ عليه وإبطال مقولاته .

- معالجة الانحراف الناشئ عن تأثر كثير من المسلمين بمقولات الإلحاد ، وضرورة ترسيخ الحقائق الدينية بأسلوب علمي قادر على مواجهة مقولات الإلحاد وإبطالها .
- إبراز جهود الشيخ مصطفى صبري في مواجهة ظاهرة الإلحاد ، وتحليل المكونات المنهجية لهذه الجهود واستخلاص النتائج التي تثري البحث اعلمي الناضج في هذه القضية الخطيرة .

الدراسات السابقة:

هناك مجموعة من الدراسات التي تبلورت حول جهود الشيخ مصطفى صبري بشكل عام ، وجهوده في العقائد على وجه الخصوص ، وقد رصد الباحث مجموعة الدراسات التي تيسّر له الاطّلاع عليها على النحو التالي :

1-دراسة الباحث سعود بن عبد الرحمن اليميني بعنوان "منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة "وهدفت الدراسة إلى إبراز جهود الشيخ مصطفى صبري في خدمة الدين الإسلامي ومواجهة التيارات الوافدة, ودراسة منهج الشيخ في بابي التوحيد والنبوة والرد على المنكرين لهما, ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي, وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها:

- يعد الشيخ مصطفى صبري من أبرز أعلام المسلمين في العصر الحديث, عاش في أصعب الفترات وهي سقوط الخلافة الإسلامية وتصدى لمختلف التيارات التي تُعادي الإسلام ، ولا سيّما التيار العلماني .
- ردّ الشيخ مصطفى صبري على الماديين الذين ينكرون وجود الله تعالى ، وبرهن على وجود الله سبحانه وتعالى بالأدلة التالية : دليل الغائية, دليل الحدوث, دليل الواجب والممكن, وابتكر "دليل الوجدانية والإرادة".

2-دراسة الباحث عمار جيدل بعنوان "شيخ الإسلام مصطفى صبري" وهدفت الدراسة إلى التعريف بشخصية الشيخ مصطفى صبري وجهوده العلمية ومؤلفاته وآراء العلماء فيه, ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي, وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها:

- كانت غاية الشيخ مصطفى صبري من جهوده العلمية ومؤلفاته هي الدفاع عن الإسلام والعلوم الإسلامية وصد الهجمات التي تعرض لها الإسلام من قبل أبنائه.
- تميز الشيخ مصطفى صبري بالشجاعة في قول الحق فقد حارب الاتحاديين وعلماء الدين المتغربين, وتعرض لكثير من الأذى من قبل رجال السياسية والثقافة, وكان هدفه هو العمل على تغيير الوضع نحو الأفضل.

3-دراسة الباحث الدكتور مُفرّح بن سليمان القوسي بعنوان "مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد "وهدفت الدراسة إلى الوقوف على السيرة الذاتية للشيخ مصطفى صبري والتعريف بمؤلفاته ومصنفاته لسبر أغوار شخصيته ومعرفة اتجاهه الفكري ، مع بيان موقفه من الفكر الوافد تحديداً والقضايا التي واجهها , ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي التحليلي وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها:

- أنّ التكوين العلميّ المتميّز الذي حصّله الشيخ مصطفى صبري في بلاده تركيا كان له أكبر الأثر في تمكينه من الردّ على الشبهات التي وصلت إلينا مع الفكر الوافد.
- الإشادة بالجهاد الكبير الذي خاضه الشيخ مصطفى صبري في مواجهة الفكر الوافد ومقولاته المتناقضة مع جوهر الفكر الإسلامي، وخصوصا في المرحلتين : التركية ثم المصرية ، ممّا ترك اثراً حميدا في النفوس بسبب هذه الصلابة الفكرية في مواجهة حالة الترهل والتقليد التي هيمنت على العالم الإسلامي في تلك المرحلة .
- اعتمد الشيخ مصطفى صبري في تقرير وجود الله على ثلاثة مناهج وهي: المنهج النقلي المستفاد من الكتاب والسنة, المنهج العقلي الذي تبلور في دوائر علم المنطق وبحوث المتكلمين .

4_ دراسة أخرى للباحث الدكتور مُفرّح بن سليمان القوسي بعنوان " مصطفى صبري : المفكر الإسلامي والعالِم العالَمي وشيخ الإسلام في الدولة العثمانية سابقا" وهي كما يبدو من محتواها مستلّة من الكتاب السابق لأنها اقتصرت على عرض حياة الشيخ مصطفى صبري وأهم نشاطاته وإنجازاته ومواقفه ولكنها لا تشتمل على قضايا محددة .

5_دراسة الباحثين محمد عمارة والعربي بن الشيخ بعنوان "المعجزة الكونية ودلالتها على الرسالة عند مصطفى صبري" وهدفت الدراسة إلى الوقوف على منهج الشيخ مصطفى صبري في الرد على منكري المعجزة الكونية, ولتحقيق هدف الدراسة استخدم الباحثان المنهج الوصفي وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها:

- بين الشيخ مصطفى صبري أن وجه دلالة المعجزة على إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها تنزل منزلة القول من الفعل المثبت لصدقه.
- ركز مصطفى صبري في استدلاله على إثبات رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم على الدليل العقلي والدليل الواقعي المسفاد من طبيعة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالتها على صدقه ..
- تولى مصطفى صبري الرد على منكري المعجزة الكونية بأدلة عقلية ومنطقية وعلمية مع تدعيم أقواله بأقوال فلاسفة الغرب.

6_ دراسة الدكتور مصطفى حلمي بعنوان " الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية دراسة حول كتاب "منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة " وهدفت الدراسة إلى التعريف بالشيخ مصطفى صبري والتيارات السائدة في عصره, والوقوف على نظرياته وطرائق تحليله لأحداث عصره , وبيان دور مصطفى أتاتورك في القضاء على الخلافة, ولتحقيق أهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج التاريخي والمنهج التحليلي, وخلصت الدراسة إلى العديد من النتائج من أهمها:

- استطاع الشيخ مصطفى صبري بحفظه للقرآن الكريم وإحاطته بعلوم السنة النبوية الشريفة وفهمه للعقيدة الإسلامية حق الفهم وضع يده على مكامن الانحراف في عقائد معاصريه من العلماء.
- من النتائج الهامة التي كشف عنها الشيخ مصطفى صبري هي أن جمال باشا السفاح كان قاتلا للعرب والترك معا, وما تعرض له العرب من اضطهادات كانيتمّ على يدي أعضاء جمعية الاتحاد والترقي ومنهم جمال باشا السفاح.
- كانت أبرز معالم الرؤية الإسلامية للحياة من وجهة نظر الشيخ مصطفى صبري ما يلي: الإيمان بالله تعالى وتحكيم الشرع, عالمية الدعوة الإسلامية وتفوقها على الشيوعية, عدم الفصل بين الدين والدولة , وتكوين مجلس شورى للخليفة يمارس وظيفة المستشار في الأمور الهامة مع بقاء صلاحيات الحكومة في يد الخليفة.

منهج البحث:

يعتمد الباحث في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي لاستقراء النصوص الدالة على المطالب العلمية، ثم المنهج الوصفي التحليلي الذي يحلل النصوص في حدود البحث المفترضة، ويفسر المواقف ثم يستخلص النتائج في ضوء المعطيات التي اعتمدها لدراسة الموضوع

إجراءات البحث:

1 _ جمع النصوص وفرزها وتصنيفها بحسب دلالتها على المطلب الأساس في هذا البحث، مع التوثيق الدقيق لكل نصّ سواءٌ من مصادر المؤلف أو من المراجع المساعدة.

2 _ تحليل محتوى النصوص، ثم استخلاص النتائج التي ينتهي إليها الباحث.

3_ عَزْوُ النصوصِ المقتبسة إلى مصادرها مثل الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة ، والمنقولات التي ينقلها المؤلف عن الكتب الأخرى .

4 _ الالتزام بالموضوعية العلمية التي تقوم على التجرد من الهوى الذاتي وتلتزم بالكشف عن الحقيقة العلمية ضمن الأصالة الذاتية

5_ الكشف عن منهج الشيخ مصطفى صبري في الرد على شبهة إنكار وجود الله سبحانه وتعالى.

خطة البحث

يتكون البحث الحالي من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي :

المقدمة: وتشتمل على المحاور التالية

- **_ مشكلة البحث .**
- **حدود البحث وأسئلته .**
- **أهداف البحث .**
- **أهمية البحث .**
- **الدراسات السابقة**
- **المنهج الإجرائي للباحث .**
- **خطة البحث .**

المبحث الأول:

ترجمة الشيخ مصطفى صبري وآثاره العلمية في الرد على شبهات الإلحاد

المطلب الأول: ترجمة الشيخ مصطفى صبري

يعتبر الشيخ (مصطفى صبري) واحدا من أبرز العلماء الذين أسهموا في الدفاع عن حقائق الدين في المرحلة العصيبة التي مرّت بها الأمة الإسلامية في أعقاب التغلغل الاستعماري الثقافي والعسكري في العالم الإسلامي حيث دعا بحزمٍ وصوتٍ مرتفع إلى العودة إلى كتاب الله تعالى والسنة النبوية الشريفة . والتمسك بهما، وكانت له جهود كبيرة في التصدّي للانحرافات الخطيرة التي طرأت على العقيدة الإسلامية بفعل التأثر بالثقافة الغربية الوافدة ، فهو مفكّر إسلامي رائد في مجال التصدي للتيارات الفكرية المنحرفة، كما يعتبر سياسياً كبيراً ذا خبرة طويلة في مجال السياسة لانخراطه في العمل السياسي من خلال عضوية البرلمان العثماني فضلا عن كونه آخر شيخ للإسلام في الدولة العثمانية وما يقتضيه هذا المنصب من المشاركة الفاعلة في المجريات الشاملة للحياة [(10)].

نشاته وحياته:

ولد مصطفى صبري بن أحمد بن محمد التوقادي القازابادي[11] لأبٍ وأمٍ من الأناضول ، ويبدو انه من نسب عريق في الأتراك، وظهر افتخاره بنسبه وعِرْقِه جليًا في قوله:" ولدت في أسرةٍ من الأناضول ببلدة توقاد وأبي وأمي وكذا أبواهما وأبو أبويهما وهكذا دواليك كلهم أناضوليون ذوو نسب عريق في التُّرك" [12]

وولد الشيخ في مدينة(توقاد)،وهي مدينة تابعة (لولاية سيواس) في الأناضول، في (12/ربيع الأول/ 1286هـ) الموافق(11/ حزيران/1869م)، ونشأ في بيئة دينية مبنيّة على العلم والفضيلة، حيث كان والده رجلًا صالحا وتقيًّا ويرغب في جعل

(10) القوسي، مفقرج بن سليمان ، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص9.

11 – هكذا ذكر الشيخ مصطفى صبري اسمه كاملا في كتابه :" موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين " ج1 ص71. واظر ترجمة الشيخ مصطفى صبري في : الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ج7 ص236 .

12 – صبري ، مصطفى ، النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والامة ، ص 98 .

ابنه من العلماء الذين يخدمون الدين الإسلامي، لذا سعى إلى تعليم (مصطفى) تعاليم الدين الإسلامي للدفاع عنها عندما يكبر، وقد نال مراده في ذلك[(13)].

حياته العلمية:

تميزت حياته العلمية بالجدّ في التحصيل والمثابرة على طلب العلم في جميع فروعه التي اشتملت على علوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وعلم القراءات، وعلم العقيدة، وعلم التفسير، وعلم الفقه، وغيرها، ودرس في المرحلة الابتدائية في مدينة(توقاد) وحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى (الأستانة) لإكمال دراسته في علوم الشريعة الإسلامية، ونال الشهادة العالمية في الأستاذية بدرجة(متفوق جدًا) عام 1307هـ[(14)].

كان الشيخ مصطفى صبري ذا نشاط متعدد الوجوه في المجالات العلمية في الدولة العثمانية، وقد تمثّل ذلك في عمله في مجال التدريس في سن الثانية والعشرين من عمره بعد رحلة شاقة من العلم والتحصيل، وبقي يُدرّس في"جامع السلطان محمد الفاتح" خمسةَ عشرَ عاماً[(15)]، فضلاً عن مشاركته في دروس الحضور التي كان يحضرها السلطان عبد الحميد[16]، كما تمثلت جهوده في نشاطاته العلمية المختلفة مثل: اشتراكه في"الجمعية العلمية الإسلامية" التي تأسست عامَ 1326هـ[(17)]، حيث عقد علماء(الأستانة) اجتماعا لتأسيس هذه الجمعية وكان عدد أعضائها(113) عضوا وحصل الشيخ مصطفى صبري على أصوات جميع العلماء الحاضرين في الانتخاب السري[(18)]، كذلك تمثَّل نشاطه العلمي بأنه كان عضوا في "دار الحكمة الإسلامية" والتي تعتبر مجمعًا علميًا بارزًا في الدولة العثمانية [(19)].

نشاطه السياسي:

انخرط الشيخ مصطفى صبري منذ مرحلة مبكرة من عمره في العمل السياسي وأنفق الثلث الأول من عمره في هذا المجال ، وقد تجلى ذلك واضحا في الكفاح والنضال السياسي من خلال المناصب السياسية العديدة التي استملها ودافع من خلالها عن الأمة الإسلامية وعن الدين الإسلامي، وعن الأخلاق والآداب، الأمر الذي يفسر لنا ظاهرة الاعتقالات المتكررة التي تعرّض لها[(20)]. وقد لخّص الشيخ مصطفى جوهر عمله السياسي بقوله: "أعلم أنَّ الأمور منتهية إلى السياسة ومنها يستفيد كل خير أو شر قوة الوجود في الخارج، ابتداءً وبقاءً، وأنَّ المساعي المتعلقة بمصلحة العامة إن تجرَّدت عن السياسة تذهب هباء وهراءً، وكل نصيحة لا تؤديها السياسة فهي بمنزلة تضرُّع العاجز إن شاء المنصوح له يسمعه مع كون المسألة أهمَّ مِن أن تكون معلقة على نَصَفته أو سماحته وإن شاء يضحك من عجز الناصح وربما عاقبه عليه إن لج"[(21)].

وفي هذا السياق عمل الشيخ مصطفى على دعوة الكثير من علماء الدين للعمل في المجال السياسي حتى يوجهوا ذوي السلطة والمنصب إلى الحكم بشريعة الله تعالى الكاملة ، وكان سبب هذه الدعوة هو أنّ اعتزال علماء الدين عن السياسة سيؤدي

---

(13) صبري، مصطفى ، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين ج1 ص1.

(14) القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد ، ص 44 _ 46.

(15) اليميني ، سعود بن عبد الرحمن ، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص 19 .

16 – المرجع السابق ، ص 19 .

(17) حيث هدفت هذه الجمعية إلى إنشاء الكثير من المدارس الدينية في الدولة العثمانية، والعمل على زيادة دمج العلوم الإسلامية في المناهج التعليمية، كما عملت هذه الجمعية على تقديم النصيحة والتوجيهات في كل من المجلات والندوات لتقوية علاقة المسلمين بدينهم إلى غير ذلك من نواحي النشاط والتثقيف . انظر: القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص49 – 50.

(18) مجلة الهداية. الجزء الثامن. المجلد الرابع. 1351هـ.ص334.

(19) القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص50–51.

(20) صبري، مصطفى ، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (1/ص2).

(21) صبري، مصطفى ، النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة ، ص130.

إلى انحسار الوعي السياسي بالحياة وخصوصا ما يرتبط منها بالشأن الديني ، وجعل السياسة محصورة فقط في أيدي السلطات البعيدة عن الالتزام بأحكام الشريعة السمحة ، على الرغم مجاملتهم لعاماء الدين وإظهار نوعٍ من الاحترام لهم لكنّ ذلك سيكون على حساب الشريعة ، لذا فهو يرى أنَّ العلماء المبتعدين عن السياسة هم متفقون مع كل السياسيين(22).

وبعد ترجمة الشيخ مصطفى صبري والحديث عن جوانب حياته المختلفة المتمثلة في نشأته وتعليمه وحياته العملية ودوره السياسي، لا بد لنا أن نوضح أبرز الآثار العلمية له في رد الشبهات عن الدين الإسلامي.

المطلب الثاني: آثاره العلمية

خلّف الشيخ مصطفى صبري-رحمه الله- وراءه العديد من المؤلفات والرسائل والأبحاث والمقالات والأشعار التي دافع فيها عن الدين الإسلامي وردِّ الشبهات عنه، وكانت آثاره العلمية مكتوبه باللغتين : التركية والعربية 23 لا سيّما بعد هجرته إلى مصر كما سبقت الإشارةُ إليه ، وهي على النحو التالي:

أولا: آثاره العلمية باللغة العربية :

ألّف الشيخ ستة كتب باللغة العربية، وسيتمّ التعريف بها وفقاً لتاريخ صدورها حيث جاءت على النحو التالي :

1. كتاب" النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة"

قام الشيخ مصطفى صبري بتأليف هذا الكتاب سنة 1342هـ، وجاء في مجلد واحد مشتملٍ على 235 صفحة، ودار موضوع هذا الكتاب حول فساد الدين عند الكماليين والاتحاديين من حيث تعصُّبهم للجنس التركي، ومحاربتهم للدين الإسلامي، وعلاقتهم الوطيدة باليهود والإنجليز، واتباعهم للخطط اليهودية والصليبية للتخلص من الخلافة العثمانية، بالإضافة إلى أنَّ الشيخ قد بحث من خلال هذا الكتاب في الخلافة الإسلامية من منظور سياسي(24).

2. كتاب" مسألة ترجمة القرآن"

ألّف الشيخ مصطفى صبري هذا الكتاب سنة 1351هـ، وجاء في مجلد واحد مشتملٍ على 146صفحة، وقام بتأليف هذا الكتاب بغية الرَّد على الكماليين في تركيا الذين يتسمون بالعصبية للجنس التركي، ويكرهون العرب ولغتهم، حيث إنهم عملوا على نشر الفتنة بين المسلمين لهجر القرآن الكريم من خلال ترجمته للغة التركية بحيث لا يقرأ القرآن في الصلاة باللغة العربية بل بالتركية، وهاجم الشيخ هذه الترجمة واختلف مع عدد من العلماء في مدى صحتها، حيث رأى أنَّ تعدد التراجم واختلاف المترجمين في فهم النص العربي يؤدي إلى مجموعة من الأخطار على القرآن الكريم(25).

3. كتاب " موقف البشر تحت سلطان القدر"

ألّف الشيخ مصطفى هذا الكتاب سنة 1352هـ، وجاء في مجلد واحد مشتملٍ على 299 صفحة، وجاء تأليفه لهذا الكتاب ردًا على من يزعمون بأنَّ سبب تأخر المسلمين هو إيمانهم وتمسكهم بالقضاء والقدر، وهي القضية التي ردّ فيها الشيخ محمد عبده من قبلُ على المستشرق الفرنسي إرنست رينان ، أما الشيخ مصطفى صبري فقد اختلف عنه في الرَّد عليهم إذْ كان أسلوبه أكثر صرامة ولا يجامل الغربيين في حين رأى مصطفى صبري أنَّ أسلوب الشيخ محمد عبده جاء يلبي الغربيين والفرنجة الشرقيين(26).

---

(22) المصدر السابق، ص131

23 - الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ج7 ص 236 .

(24) حلمي.، مصطفى ، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، ص 5-6 .

(25) حسين ، محمد محمد ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ج2 ص328 .

(26) محمد محمد ، حسين ، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج1 ص319 .

4. كتاب" قولي في المرأة ومقارنته بأقوال مقلدة الغرب"

وهو كتاب صغير الحجم جاء في 91 صفحة، ردّ فيه على دعاة التبرّج والسفور حيث كانت الدعوة في تلك المرحلة قد بلغت ذروتها ، وناقش من خلاله عدداً من الشبهات، مثل: تعدد الزوجات، وحجاب المرأة المسلمة، وغيرها، وأثبت عدم صحتها وافتقار محتواها الى الصواب بالاستناد إلى القرآن الكريم والسنة النبوية والأدلة العقلية، والواقع المعيش .

5. كتاب" القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون"

أُلّف هذا الكتاب سنة 1361هـ، وجاء في مجلد واحد مشتملٍ على 344 صفحة ، وقام الشيخ من خلاله بالرد على الذين يشككون في وجود خالق لهذا الكون ويشككون في السنة النبوية المطهرة والمعجزات، كما ردَّ فيه على علماء المسلمين الذين جعلوا تأويل الأمور معتمدا على العالم المادي لا على إيمانهم بالعقيدة الإسلامية وبالنبوة، بالإضافة إلى توجيه نقدٍ قويّ للمقالات العصرية للعلماء الأزهريين[27].

6. كتاب" موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين"

وهو أعظمُ كتبه وأكثرها شهرةً وتأثيراً ، وقد تم تأليف هذا الكتاب سنة 1369هـ وجاء في أربعة مجلدات مشتملة على 2018صفحة، وكانت طبعته الثانية في سنة 1401 هـ في بيروت، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها في هذا البحث ولخّص الشيخ مصطفى في هذا الكتاب آراءه العقدية، والفقهية، والفلسفية، والاجتماعية، والسياسية، إذ يعتبر هذا الكتاب عدة كتب في كتاب واحد [28].

ثانيا: آثاره العلمية باللغة التركية

ألّف الشيخ (ستة كتب) باللغة التركية ، وسنذكرها وفقاً لتاريخ صدورها على النحو التالي معتمدين في ذلك على المراجع التي كتبت عن حياة الشيخ بصورة شاملة [29]:

1. كتاب" المسائل التي هي هدف المناقشة في الإسلام".وهو في الأصل مجموعة من المقالات التي كان ينشرها الشيخ في مجلة " بيان الحق " التركية ابتداء من سنة 1326 هجرية / 1908 م .وقد جمعت في كتاب وصدرت عن دار سبيل في استنبول ويحتوي على تسع مقالات مطولة ناقش فيها كثيرا من القضايا المعاصرة ردّاً على العلمانيين والمتفرنجين في بلاده تركيا مثل قضايا الحجاب ومعارضة تحكيم الشريعة ، وتعدد الزوجات ومسائل الطلاق ، والرسم والتصوير وغير ذلك من القضايا.[30]
2. كتاب" ردي على ما في القول الجيد من الردى".وهو كتابٌ في البلاغة العربية ردّ فيه على المؤلف التركي محمد ذهني بن محمد رشيد الاستنبولي (ت1329 هجرية) الذي ألّ ف كتاب " القول الجيد في شرح أبيات التلخيص وشرحيه وشرح السعد " وانتقد فيه علوم البلاغة القديمة لا سيّما علوم المتأخرين مثل الخطيب القزويني صاحب "التلخيص" والسعد التفتازاني صاحب "شرح التلخيص" فردّ عليه الشيخ مصطفى صبري بمقالات مطولة سنة 1327 / 1909 ثم جُمعت في هذا الكتاب حيث انتصر الشيخ مصطفى صبري للبلاغة

(27) المرجع السَّابق ج1 ، ص330 .

(28) المرجع السابق، ج1 ، ص331.

29 – ونخص بالذكر كتاب " مصطفى صبري : المفكر الإسلامي والعالِم العالمي " للدكتور مفرّج بن سليمان القوسي ، ص 234 فما بعدها حيث عقد فصلا كاملا استوفى فيه جميع مصنفات الشيخ مصطفى صبري بالتركية مع ترجمة أسمائها إلى العربية .

30 – القوسي ، مفرّج ، مصطفى صبري : المفكر الإسلامي ، ص 234– 240 .

العربية وكشف عن أخطاء المؤلف التركي الذي أعجب بكتابة الشيخ صبري وأظهر احترامه لها لأنها صادرة عن عالم منصف ومطّلع[31] .

3. كتاب" القيمة العلمية للمجتهدين المسلمين العصريين".

ويقع هذا الكتاب في 168 صفحة ن وقد ألّفه مصطفى صبري سنة 1334/ 1916 حين كان في رومانيا وطُبع في استنبول عام 1337 / 1919، وقد ردّ فيه على أحد علماء قازان من البلاد الروسية كان قد ألف كتابا باللغة التركية عنوانه (براهين الرحمة الإلهية) اشتمل على كثير من المسائل الشاذة في منظور لاشرع مثل مسألة خلود الكفار في النار ، واقتراح منهج في التأويل غير متوافق مع مناهج علماء الإسلام ، فردّ عليه الشيخ مصطفى صبري في هذا الكتاب .[32]

4. كتاب" المجددون الدينيون". وسبب تأليف الكتاب هو ظهور مجموعة من الكُتّاب في تركية أطلقوا على انفسهم اسم " المسلمون الجُدد " وطرحوا كثيرا من ال"أفكار الباطلة بمعيار الشرع القويم ، فكتب الشيخ مصطفى صبري هذا الكتاب عام 1922 حيث صدرت طبعته الاولى في تلك السنة ويشتمل على 4-3 صفحات[33] .

5. كتاب" الإمامة الكبرى في الإسلام". وقد ألّفه الشيخ مصطفى صبري أثناء إقامته في تراقيا الغربية من ارض اليونان عام 1346- 1347هجرية / 1927/1928 م ، ونشره أولا على شكل مقالات في جريدته " يارين " ، وهو من أهمّ الكتب التي ناقشت قضية الخلافة الإسلامية بعد إلغائها من قبل كمال أتاتورك عام 1924م ن وقيام بعض الأتراك بترجمة كتاب " الإسلام وأصول الحكم "لعلي عبد الرازق الذي أنكر فيه وجوب قضية الخلافة ، حيث كشف الشيخ عن كثير من الخفايا والدسائس التي كانت تُحاك ضد مؤسسة الخلافة منذ امدٍ بعيد مع مناقشة للضوابط الشرعية لموضوع الخلافة وكونها واجبة[34] .

6. كتاب "صوم رمضان . وهو كتابٌ صغير الحجم ردّ فيه الشيخ مصطفى صبري على بعض الكُتّاب الأتراك ممّن ذهبوا إلى عدم وجوب الصوم على سُكان المناطق الحارة والشديدة البرودة وأنهم غير مكلفين بما لاتطيقه أنفسهم ولا يجب عليهم الفِديةُ أيضا ، فردّ الشيخ عليهم وكشف عن ضعف حُججهم ومخالفتها للأمر المستقر من حقائق الدين والشريعة [35].

المبحث الثاني:

التعريف بصفة الوجود والشبهات المثارة حولها

المطلب الأول: التعريف بصفة الوجود وآراء العلماء فيها:

ينطلق علماء أهل السنة والجماعة في تقرير وجود الله تعالى من نصوص الكتاب والسنة وبعض القواعد العقلية المستفادة من الكتاب والسنة ، ولا يُعوّلون كثيرا على القواعد العقلية المحضة التي تبلورت لدى المتكلمين والمناطقة ويرون أنّ أدلة القرآن وما ثبت من صحيح السنة أكثر إقناعا وقدرة على مخاطبة الفطرة الإنسانية ، وقد لخّص ابن أبي العزّ الحنفي شارح العقيدة الطحاوية هذا المعنى بقوله في شرح كلام الإمام الطحاوي حين قال في صفة الله تعالى (**قديم بلا ابتداء ، دائمٌ بلا انتهاء** " فقال الشارح متعقّبا

31 – المرجع السابق ، ص 240 – 242.

32 – المرجع السابق ، ص 242 .

33 – المرجع السابق ، ص 249 – 256.

34 – المرجع السابق ، ص256– 264.

35 – المرجع السابق ، 264 – 268.

كلام الطحاوي : " قال الله تعالى (هو الأول والآخر) (الحديد : 3) وقال صلى الله عليه وسلم : " اللهم انت الأول فليس قبلك شيء ، وانت الآخر فليس بعدك شيء" فقول الشيخ : " قديمٌ بلا ابتداء ، دائمٌ بلا انتهاء " هو معنى اسمه الاول والآخر [36] ، وتأسيسا على هذا التأصيل يؤكد علماء السنة والجماعة على أنّ مسألة وجود الله تعالى مركوزة في الفطرة الإنسانية ، وأنّ المشركين لا ينكرون وجود الله ولكنهم يشركون معه غيره في العبادة ، وهو ما دلّ عليه صريح القرآن في قوله تعالى (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولنّ الله)[37] لا بل إنّ اعتقاد الربوبية مركوز في الفطرة وهو ما أكده شارح الطحاوية أيضا في قوله : " والعلمُ بثبوت هذين الوصفين – يعني الأول والآخر – مستقرٌ في الفطرة ، فإنّ الموجودات لا بدّ أن تنتهي إلى واجب الوجود لذاته قطعاً للتسلسل [38].وقال في موطنٍ آخر في تقرير حقيقة الاعتراف بالربوبية لله تعالى : " وهذا التوحيد – يعني توحيد الربوبية والإعتراف بوجود الله – لم يذهبْ إلى نقيضه طائفةٌ معروفة من بني ىدم ، بل القلوب مفطورةٌ على الإقرار به أعظم من كونها مفطورةً على الإقرار بغيره من الموجودات ، كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم (قالت رسلهم أفي الله شكّ فاطر السماوات والأرض)[39] .

وهذا الذي قرّره شارح الطحاوية مستفاد من كلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيّم وغيرهما من العلماء الذين يسلكون في تقرير العقائد مسالك أهل السنة والجماعة وعدم الاحتفال بأدلة المتكلمين ، فمن ذلك قول ابن تيمية : " إنّ أصل الإقرار بالصانع والاعتراف به مستقرٌّ في قلوب جميع الإنس والجنّ ، وانه من لوازم خلقهم ضروريٌّ فيهم كما أنّ اغتذاءهم بالطعام والشراب هو من لوازم خلقهم وذلك ضروري فيهم "[40]

ويؤكد ابن القيّم هذه الحقيقة بقوله : " فطرق العلم بالصانع ضرورية ليس في العلوم أجلى منها ، وكلّ ما استُدلّ به على الصانع فالعلمُ بوجوده أظهرُ من دلالته ، ولهذا قالت الرسل لأممهم (أفي الله شكٌّ فاطر السماوت والأرض) ، فخاطبوهم مخاطبة مَنْ لا ينبغي أن يخطر له شكٌّ في وجود الله سبحانه ن ونصب من الأدلة على وجوده وصفات كماله الأدلة على اختلاف أنواعها ولا يُطيق حصرها إلا الله ، ثم ركّز ذلك في الفطرة ، ووضعه في العقل جُملةً ، ثم بعث الرسل مذكّرين به "[41]

وقد أكّد ابن كثير وهو من تلاميذ هذه المدرسة على هذا المعنى في تفسير قوله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[42]. حيث قال :

"يقول تعالى فسدِّد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم التي فطر الخلق عليها، فإنه فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره"[(43)].

كما استدلّ علماء السلف بالنصوص الثابتة من السنة الشريفة من مثل قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال:" خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرّمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم أُنزل به سلطانا ..."[(44)].

36 – الحنفي ، ابن أبي العزّ ن شرح العقيدة الطحاوية ، ص 66 .
37 – لقمان :25 .
38 – المصدر السابق ، ص 66 .
39 – إبراهيم : 10 .
40 – ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم ، درء تعارض العقل والنقل ، ج8 ص 482 .
41 – الجوزية ، ابن قيّم ، مفتاح دار السعادة ج2 ص 243 .
(42) [سورة الرُّوم: 30]
(43) ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، تفسير القرآن العظيم ، ج6 ص 313.
(44) القشيري ، مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: العلامة التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.ج4 ص 2197برقم (285) .

كما استدلوا بالحديث الصحيح المشهور من قوله – صلى الله عليه وسلم-: "ما من مولود يولد على الفطرة فأبواه يُهوّدانه، او يُنصّرانه، أو يُمجّسانه، كما تُنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاءَ هل تُحسّون فيها من جدعاء"[(45)].

إنّ اعتماد أهل السنة والجماعة على النصوص الصريحة الصحيحة من الكتاب والسنة في تقرير صفة وجود الله تعالى لا يمنعهم من الاستدلال ببعض الأدلة العقلية المستنبطة في جوهرها من كتاب الله تعالى وليس من العقول المجردة ، ويشترطون فيها أن تكون صحيحة في العقل ، وجاء بها الشرع وهدى إليها ودلّ عليها إلى جانب كونها بيّنةً بنفسها قليلة المقدمات قريبة النتائج ، ومن أشهر الأدلة العقلية التي استدلّ بها أهل السنة والجماعة في هذه القضية والتي نذكرها على جهة الإجمال لا التفصيل : دليل الخلق والإبداع ، ودليل العناية الإلهية بالمخلوقات ، ودليل معجزات الأنبياء [46].

المطلب الثاني: الشبهات المثارة حول إنكار وجود الله

قبل الحديث عن منهج الشيخ مصطفى صبري في الرد على شبهات الملحدين بخصوص ما يتعلق بوجود الله تعالى ، سنذكر أهم الشبهات التي انطلق منها أرباب الفكر المادي في إنكارهم لوجود الله تعالى ، والمرجعيات الفكرية والفلسفية التي انطلقوا منها على وجه الاختصار .

أولا: سؤال الإلحاد:

تبلور سؤال الإلحاد في سياقه الحديث داخل المنظور العلمي للكون حين شعر الإنسان الحديث بإمكانية فهم الكون بعيدا عن تعاليم الكتب الدينية ، وحين اعتنق فكرة مادية الكون ، وأن هذا الكون لا يحتاج إلى التفسير الديني في نظرية الخلق وما تقتضيه من إثبات وجود الإله لكي تكون مُقنعةً ، فالنظرية العلمية في القرون السابع عشر وما تلاه قد أسرفت في التصور المادي للكون ن وذهبت إلى إنكار غائية الخلق ، وأنّ المادة لا تحتوي أيّ هدفٍ او غاية وبالتالي فإن قوانينها الداخلية هي المسؤولة عن خلقها وديمومتها[47] ، وقد عبّر عالم الفلك الفرنسي لابلاس عن هذا الاتجاه المادي حين سأله نابليون عن موقع الإله في نظامه الميكانيكي الخاص بالأجرام السماوية فقال : " يا سيدي ، لستُ بحاجةٍ إلى هذا الافتراض " [48] ، وعلى الرغم من وجود مقاومة واضحة ضد منظور الإلحاد داخل مسار العلم الحديث كما هو الحال عند إسحاق نيوتن الذي جزم بوجود خالق لهذا الكون ، إلّا أنّ النظرة العامة للعلم سارت في ذلك الاتجاه المادي ، وكان لها إشعاعٌ سلبي خطير أثر في تفكير الإنسان المعاصر بحيث انتشر الإلحاد بطريقة علمية تمّ تدريسها في الجامعات والمعاهد ولم يعُدْ مجردَ رأيٍ علميّ خاصّ ببعض العلماء .

ثانياً: تفسير الكون من خلال القوانين الداخلية للمادة :

حيث يؤمن الملحدون الماديون بأنه يمكن الاستغناء عن وجود الله بالقوانين الدقيقة التي تسيّر الكون، أي أنَّ الكون بنى نفسه بنفسه بالاعتماد على هذه القوانين، لكنّ هذه النظرية تعني في جوهرها انّ هذا النظام الدقيق قد نشأ صدفةً وإلا فإنّ المادة الصماء لا يُمكن ان تكون قادرة بنفسها على إبداع هذا الكون المنظّم ، ومن هنا ذهب إسحاق نيوتن إلى معارضة هذا المنظور النمادي للكون ، وجزم بوجود خالق لهذا الكون المنظّم الدقيق وقال :" إنّ حركات الكواكب الراهنة لا يُمكن أن تكون قد انبثقت من أيّ علّة طبيعية فحسب ، بل كانت مفروضة بفعل قوةٍ عاقلة " [49] .

(45)البخاري ، محمد بن إسماعيل ، الجامع الصحيح ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي ، برقم (1358).

46 – اليميني ن سعود بن عبد الرحمن ، منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، ص 51 .

47 – أغروس ، روبرت ، وستانسيو جورج ، العلم في منظوره الجديد ، ترجمة كمال خلايلي ، ص 57 .

48 – المرجع السابق ، ص58.

49 – المرجع السابق ، الصفحة السابقة .

ثالثاً: الإيمان بنظرية التطور الداروينية:

كان تشارلز دارون (ت 1882م) واحدا من أخطر علماء الطبيعيات الذين رسّخوا النظرة المادية للوجود حين أعلن عن نظريته في أصل الأنواع والانتخاب الطبيعي ، والتي تقوم في جوهرها على أنّ الكائنات الحية تسير في تطوّرها مرتقيةً من أدنى الأحياء إلى الأعلى فالأعلى ، وأنّ الإنسان قد كان في قمة تطوّرها ، وأنّ بقاء بعض الأنواع وانقراض بعضها راجعٌ إلى ظاهر الصراع من أجل البقاء "[50] وعلى الرغم من هيمنة هذه النظرية على العلوم الطبيعية وخصوصا ممع تلميذ دارون المباشر ألدوس هكسلي الذي جاهر جدا بالإلحاد إلا أنّ النظرية لاقتْ مقاومة شديدة داخل المجتمع المتدين ورفضها رجال الدين المسيحي لأنها تتعارض مع فكرة الخلق الإلهي للكون ، لكنها مارست تأثيرا عميقا لا سيما في بدايات ظهورها ، واحتاجت زمناً طويلا حتى انتهى العلم الحديث إلى إبطابها وعدم الرضوخ لنتائجها .

هذه هي أهمّ السياقات العلمية التي أسهمت في انتشار فكرة الإلحاد بين علماء الطبيعيات على وجه الخصوص، ومهما حاولنا التقليل من شانها فقد كانت ذات أثرٍ عميق وفاعل على مجمل التفكير الإنساني بحيث ادى ذلك إلى انتشار مفهوم الإلحاد لا سيّما مع انبثاق الفكر الشيوعي المادي الذي نادى به كارل ماركس (ت1883) فهو متزامن مع تشارلز دارون ن وكان لهذات التزامن أكبر الأثر في توسّع فكرة الإلحاد ن واعتناق فكرة مادية الكون ن والتخلص من مفهوم الخالق .

المبحث الثالث:

منهج الشيخ مصطفى صبري في مواجهة شبهات إنكار وجود الله

المطلب الأول: المنهج النقلي في رد الشبهات

يتأسّس هذا المنهج على اعتقادٍ جازمٍ بأنّ الوحي الإلهي هو الطريق الوحيد لمعرفة الله عز وجل، وأن العقل يعجز عن إثبات صفة الوجود، وأقصى ما يفعله العقل هو التفكر في الأدلة النقلية السماعية واستنباط حقيقة الألوهية التي هي ضرورة عقلية في نهاية التحليل العقلي ،فالأدلة النقلية بحسب هذا المنهج هي الأساس في التوصل للمعرفة، ولا يجوز الاستغناء عنها لأجل الأدلة العقلية الأخرى.

لكنّ هذا التأسيس لم يكن حائلا بين الجمع بين الدليلن النقلي والعقلي ، فصحيح النقل لا يتعارض بحسب ابن تيمية مع صريح العقل[51] ، ولقد جمع مصطفى صبري بين الدليلين : النقلي والعقلي في بحث قضية الوجود الإلهي ، سالكا مسلكا كلاميا تأثر من خلاله بمدرسة الماتريدية لاتي ينتمي إليها الأحناف بشكل عام ، ومعروف أنّ الماتريدية ليسوا متوغلين كالاشاعرة في التجريد العقلي ، ويحافظون على دلالات النصوص ولا يجنحون ؟إلى التأويل إلا في الضرورات ، وهو في هذا النمط من الجمع قد استفاد من منهج ابن تيمية من هذه الحيثية فقط على الرغم من اختلاف الرجلين على مستوى المنظور العقائدي ، فكلاهما يتطلق من المنظور القائل : إنّ الآيات التي تضم كلتا مصادر معرفتنا هي أدلة شرعية عقلية، فكانت خطابا مُقنعا في جوهرخ لكل الذين زعموا خلو القرآن من الأدلة العقلية، ولم تقتصر على مخاطبة أهل الاختصاص، بل خاطبت العالم أجمع، ولنتأمل في الآيات التالية التي تقرر في بعضها أن المخلوقات مسبوقة بالعدم، وفي البعض الآخر أنها تقبل الوجود والعدم، وكلاهما يشيران إلى الحدوث والافتقار إلى المحدِث، إذ يقول تعالى:

---

50 – الميداني ، عبد الرحمن حبنّكة ، كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة ، ص 317– 318 .

51 – وقد قدّم الإمام ابن تيمية عملاً فريدا ومتميزا في هذا السياق هو كتابه الكبير التأصيلي " درء تعارض العقل والنقل " وهو مطبوع متداول أتى فيه على جميع الشبهات العلقلية التي تبلورت في سياق علوم الكلام والفلسفة ، مع إثبات أنّ أدلة القرىن النقلية التي تخاطب العقل هي الأكثر إفادةً لحقائق الدينية القاطعة ، وسار على خطاه وانتفع بمنهجه الإمام محمد بن إبراهيم الوزير (ت840 هجرية) صاحب كتاب " ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان " وهو مطبوع أيضاً .

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُون﴾(52).

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾(53).

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَفَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾(54).

وقد عقّب مصطفى صبري على هذه النماذج الدالة على مفهوم الخلق الإلهي للكون بقوله : أأً القرآن الكريم بيّن وجود الله وقدرته على الخلق والإبداع بعناية وإتقان، واتبع الشيخ منهج الاستدلال على وجود الله وسماه (دليل العلة الغائية)، واتبع كذلك (دليل الحكمة)، و(دليل نظام العالم) اتباعا للمتكلمين، وقال :"لقد اعتنى القرآن الكريم بهذا الدليل أكثر من غيره حتى أمكنت تسميته بدليل القرآن لأن كثيراً من آياته لا نحصيها هنا لكثرتها، طافح به، وهو أثرى الأدلة وأوسعها وأكثرها استعدادا لنصرة المستدل وخذلان المنكر وأوفقها لأمزجه العصريين"، ولكن لم يفسر الشيخ ذلك كما فعل في الأدلة التي أقامها لتقرير وجوده سبحانه[55].

وتفريعا على هذه الأدلة، يرى مصطفى صبري أنَّ جميع ما في الكون من الكائنات هي في جوهرها دليل على وجود خالقٍ لاستحالة انبثاق الخلق من العدم ، وقد أكثر القرآن من إيراد هذه الأدلة العقلية المُلزمة في محتواها لمن تأمل في طبيعة الخلق الإلهي ، وعلى هذا الدليل ستقوم الحجة البالغة على الإنسان حين يكشتف العقل البشري في الوقت الضائع أنها كانت واضحة أمامه لكنه لم يُعطها حقّها من التفكر ، ولذلك نجد كثيراً من علماء الغرب المختصين بالعلوم الطبيعية ولا سيّما علوم الفلك يُعلنون إيمانهم بالله خالقا لهذا الكون العظيم ، لأنّ فكرة الإلحاد الخاوية من المعنى لا تستطيع الصمود أمامَ هذه الأدلة الطبيعية المبثوثة في هذا الكون الفسيح ، حتى نشأت داخل علوم الفضاء مقولة تعترف ضمنا بالخلق الإلهي ولكنها لا تُصرح بذلك حين تقول : " إذا كان العلم الحديث لا يؤمن بالمعجزات ، فإنّ وجود كوكب وحيدٍ بين مليارات الكواكب والنجوم يصلح للحياة هو أمرٌ يحتاج إلى معجزة "[56]

لقد استفاد مصطفى صبري من هذه الأفكار في ردّه على فكرة إنكار وجود الله تعالى ، وذهب بالإضافة إلى هذه الأدلة إلى استثمار فكرة الفطرة الإلهية التي تسود كافة المخلوقات، ودعَّم كلامه بإلزام الملحدين بالتجربة الحسيّة وبأقوال العلماء الغربيين الموحدين الدالة على إيمانهم بوجود الله، ثمّ وظّف منهج الفلاسفة والمتكلمين وما يتعلق منها خصوصا بالأدلة على وجود الله، حيث اتبع طريقي الحدوث والإمكان، وهما من أشهر أدلة المتكلمين[57] ، واتبع في الطريق الأول المسلك الوسيط بين الأسلوب الكلامي القديم والأسلوب الغربي الحديث، ورأى في الطريق الثاني أنَّ الموجود له نوعان: أما النوع الأول فهو ممكن وواجب، فالممكن يمثل جميع الكائنات الحية المعبر عنها (بالعالم) وسمي الممكن بذلك لأنه لا يمتلك ضرورة لوجوده ولا لعدمه، ولا يترتب شيءٌ على تقدير عدم وجوده أو طروء العدم عليه بعد وجوده، حيث إنّ وجوده وعدمه سيان بالنسبة لذاته، وأما الواجب فهو ما سوى العالم أي هو (الله سبحانه وتعالى) وتمَّت تسميته بالواجب للضرورة التي تلح على وجوده وعلى استحالة عدمه، إذاً هو موجود بشكل أزلي ولا يحتاج لمرجح كلما احتاج وجود العالم (58).

---

(52)[سورة الطور :35]

(53)[سورة مريم: 67]

(54)[سورة:المؤمنون:14]

55 – صبري ، مصطفى ، موقف العقل والعلم والعالم ج2 ص275.

56 – جاءت هذه المقولة في تصريح لرئيس اللجنة العلمية في الكونغرس الأمريكي في معرض حديثه عن إنجازت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا في علوم الفضاء .

57 – انظر تفصيل هذين الدليلين في : النسفي ، تبصرة الأدلة .

(58) القوسي ، مفرّح ،الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، ص329.

المطلب الثاني: المنهج العقلي في رد الشبهات

ذهب مصطفى صبري إلى أنَّ من لا يعترفون بوجود الله في الغرب يستندون إلى العقل والعلم، و من هنا يصبح الإلحاد مذهب العقل والعلم، لأنّ الملحدين الغربيين المحدثين يرون أنّ وجود الله لا يثبت بالتجربة، التي تدور عليها ثقة العلم الحديث، ويحصرون اليقين العلمي في المحسوسات، والمجربات(الماديات)، كما يحاولون التقليل من قيمة العقل المحض، ليقللوا بذلك قيمة الاستدلال بوجود الكائنات على وجود الله، بحجة أنه استدلال عقلي، لذا يرى مصطفة صبري أنّ العقل هو الناصر الأكبر لمسألة إثبات وجود الله تعالى وهو واجب كل مسلم للدفاع عن عقيدته، وقد جاءت محاولات الغربيين الكثيرة في انكار وجود الله من أجل زرع العداوة بين العقل والعلم، وحكم عليها مصطفى صبري بقوله: "والعلم ما لم يكن مشوبا بالجهل, لا يرضى محاولتهم هذه , فلا يدل استخفافهم بالعقل تجاه العلم إلّا على خفة عقولهم, وقلة علومهم, ولا يرتاب أحد في صدق ماقلناه، إلّا وفي عقله شيء من تلك الخفة, وفى علمه شيء من تلك القلة"(59).

ورأى الشيخ أنَّ انتصار العقل هو في الواقع انتصار للدين، حيث قال في ذلك:"ومن حسن حظنا في موقف المعارضة للملاحدة أن يكون العقل معنا ندافع عنه ويدافع عنا, فلو لم يكن لنا في كسب المطالب الأربعة, ولا سيما المطلب الأول منها ... إلّا كوننا في موقف الدفاع عن العقل, وخصومنا في موقف الحط من شأنه لكفانا"(60).

وفي هذا السياق أكّد مصطفى صبري على أنَّ ما جاء في الدين لا يتعارض مع العقل،و أنَّ العقل الفطريّ السليم من الآفات والشبهات هو أول ناصر للدين, وأن الدين لا يختلف مع العقل, وأن وجود الله الذى هو أساس الدين مبنى على برهان العقل(61)، وأنَّ الاعتقاد الإرادي الذى يكون فيه الشخص مؤمنا بإرادته يقبله الدين المسيحي للتغلب على العقل، والذي يسمى بالإيمان العنادي، ولكنَّ الدين الإسلامي يرفض هذا الايمان الإرادي؛ لأنه يحترم العقل لدرجة يجعله معها مناط التكليف الشرعي, ولأن عقيدة المؤمن لا تقبل منه الا اذا تخلص من الشك والارتياب، ويُعزز ذلك قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(62).

وتزداد حدّة النقد للعقل الشكاك لدى مصطفى صبري حين أشار إلى أنَّ هناك خطأ في فلسفة (ديكارت)(63)المبنية على الشك، كما رأى أنها لم تكن وسيلة لمعرفة الحقيقة معرفة يقينية وحقيقية، وأضاف إلى ذلك أنَّ قضية الألوهية في الاسلام تهدم فلسفة (هيجل)(64) وأتباعه من فلاسفة الغرب, فمن المسلم به أنَّ مقام العقل الإنساني في الإسلام تابع للدين، وهذا عكس ما جاءت به المسيحية، لذا لا يمكن للإنسان المسلم أن يشك بوجود الله تعالى، فوجوده مسألة مثبتة بالواجب، أي تقتضي أنَّ الله واجب الوجود، وكل ما لا يبلغ واجب الوجود هو ليس الله، وبالتالي تُنفى جميع الأبحاث و العلوم الحديثة المصدقة لفلسفة (هيجل) الجنونية النافية للحقيقة(65).

---

(59) صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين(ص2، 275)

(60) زكي نجيب محمود و أحمد أمين. قصه الفلسفة الحديثة.ج2 ص313-314.

(61) صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين((ص102/2)

(62) [سورة الحجرات:15]

(63)هو فيلسوف وعالم رياضيات فرنسي (1596 – 1650) مال الى الدراسات الرياضية بعد أن مل الدراسات الفلسفة لعدم عثوره فيها على اليقين الذى كان يطمح اليه, وأعجب بدقة الرياضيات واحكام براهينها, ومن أشهر كتبه "مقال في المنهج "عام 1736, وكتاب " مبادئ الفلسفة" عام 1644, كما اشتهر بالدليل الأنطولوجي ومنهج الشك , وكان ديكارت شديد الثقة بنفسه طموحا يراوده أن يحل محل أرسطو.

(64) الفيلسوف الألماني: (1770–1831) جورج ويليام فريدريك هيجل فيلسوف ألماني. يعتبر هيجل أحد أهم الفلاسفة الألمان حيث يعتبر أهم مؤسسي حركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي., طبعت مؤلفاته بعد وفاته في ثمانية عشر مجلدا, وهو لا يؤمن باله مفارق , لكنه يعتقد أن القوة التي تعمل على تطوير شكل الكون وتشكيل الانسان يمكن أن تتسمى بآخر صورة تتبدى عليها

(65) صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين(ص 128/2)، وانظر : قصة الفلسفة الحديثة (254/2).

كما أكد مصطفى صبري على أنّ وجود الله ضرورة عقلية، وأثبتت بطلان آراء العلماء الملحدين في مسألة الوجود، والتي تمثلت في أنَّ العالم واجب الوجود فيستغنى بنفسه عن الخالق،أو يستغنى عنه باستناده إلى الطبيعة في وجوده، أو عنه باستناده في وجوده إلى موجود مثله، وتفسير ذلك أنَ الكون موجود من غير أي شيء جاء وحده من نفسه، وأنَّه مخلوق من مخلوق وهكذا، بالإضافة على أن يكون الكون لازما يكون موجوداً أزليًا ليس له بداية، لذا وعلى إثر ما ذُكر لن يكون هناك تفسيرٌ صحيحٌ للوجود إلا إذا وُضّحت فلسفة الكون على نحو معقول لا يتخلله شيء من المحالات الباطلة وهو: أن تكون جميع الموجودات محتاجة حتما إلى موجود ضروري واحد يجب وجوده, ويمكن لما عداه الوجود أو العدم مستندا اليه سبحانه في وجوده، ومن خلال ذلك يمكن القول بأنَّ وجود الله عز وجل ضرورة يحتمها العقل فهذا العالم المشحون بالموجودات الممكنة الوجود، بحاجة إلى موجد ليس من جنسه يقضى حاجته, ولا يحتاج في وجوده إلى شيء، والا ستبقى حاجة العالم غير مقضية[66].

أما المؤمنون بالله فلا يمكنهم أن يتصوروا وجود هذا الكون العظيم من غير بانٍ بناه, وصاحب يهيمن عليه، لذا يوجد نوعان من الوجود، أحدهما يمثل الكون المحتاج للعلة الموجدة، والآخر ما يصلح أن يكون هو تلك العلة الموجدة، إذْ إنَّ الكون المشهود ضرورةً شهودُ وجودٍ ويسمى ممكنا، أي سبب مسلوب الضرورة عن وجوده وعدمه, فيقبلهماعلى حسب إرادة الموجد، أما موجده، فهو ضرورة احتياج المشهود إلى علة الوجود, ويسمى واجبا لضرورة وجوده واستحالة عدمه، ونؤمن به دون حاجتنا إلى رؤيته رؤية مادية أو تعيين شخصه وماهيته، ورأى الشيخ أنَّ ثبوت وجود الله يعنى:"استحالة عدم وجوده, وذلك بكونه واجب الوجود، حتى لا يكون احتمال وجوده مرجحا على احتمال عدمه، فما لا يكون واجب الوجود فهو غير جدير بأن يكون (الله)... وهذه حقيقة مطلقة ضرورية, يجد العقل نفسه مضطرا إلى الاقتناع بها, دون غيرها من المسائل .. ضرورة استناد كل موجود محتاج في وجوده إلى موجد غير محتاج؛ وحتى لا يلزم التسلسل إلى استناد المحتاج إلى المحتاج"، كما رأى أنّ وجود الله لا يكون دون الواجب, فلا يكفى في إيمان المرءِ بالله, أن يكون موجودا في ظنه الغالب, دون أن يكون واجب الوجود؛ إن لم يكن واجب الوجود لكان من الممكنات حيث لا واسطة بين الواجب والممكن ولو كان ممكنا لكان محتاجا كغيره من الممكنات، ولاقتضت الضرورة التي سلمنا فيها بوجود الله وجودا واجبا مخالفا سائر الكائنات الممكنة قطعا لسلسلة العلل الممكنة المحتاجة إلى علة[67].

الخاتمة:

من خلال ما سبق ذكره نستطيع أن نبين أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث، حيث ظهر لنا أنّ عطاء الشيخ "مصطفى صبري" غير محدود فقد وهب حياته للدفاع عن الإسلام وحمايته من أعدائه، إذ إنه من العلماء المسلمين البارزين الذين دافعوا عن تعاليم الدين الإسلامي، وله مؤلفات كثيرة تثبت دفاعه وجهاده في سبيل نصرة دين الله تعالى والتصدي للأفكار المنافية له من العلمانيين والملحدين والنصارى واليهود.

وتلخَّصت حياته التعليمية بأنها حياة عالمٍ متمكنٍ من جميع علوم الثقافة العربية الإسلامية والتي شملت علوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وعلم القراءات، وعلم العقيدة، وعلم التفسير، وعلم الفقه، وغيرها فضلاً عن ثقافته التركية الواسعة ، كما خلّف الشيخ مصطفى صبري– رحمه الله– وراءه العديد من المؤلفات والرسائل والأبحاث والمقالات وكذلك الأشعار التي دافع فيها عن الدين الإسلامي ورد الشبهات عنه، وكانت آثاره العلمية مكتوبه بنسبه كبيرة باللغة التركية والبعض منها باللغة العربية.

أمّا القضايا الفكرية التي اعتنى البحث بها ، فقد توصل الباحث إلى من خلال تحليل نصوص مصطفى صبري :أنَّ وجود الله تعالى هو وجود أزلي لا أول له ولا بداية، فلم يسبق وجوده عدم، ولم يخلُ لحظة عن الوجود؛ فهو الواحد المعبود بحق، واجب الوجود الذي لا يجوز عليه العدم أزلًا ولا يجوز عليه العدم أبدًا؛ لأن الذي يقبل العدم يكون دائمًا مفتقرًا إلى غيره، بينما

(66) القوسي، الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد.

(67) صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين (ص130/136/2)

الكائنات الحية لها بداية ولها نهاية ويجوز عليها العدم، بالإضافة إلى أنَّه سبحانه لا يليق به أن يفتقر أو أن يحتاج لأحد، في حين أنَّ ذلك ينطبق على الكائنات الحية التي تحتاج وتفتقر إلى الله ولا يمكنها إدارة شؤون نفسها بدونه. وقد استند الملحدون أو المنكرون لوجود الله إلى ثلاث شبهات يدعمون فيها إلحادهم والتي تمثلت في السؤال عمّن خلق الله، والاستغناء بالقوانين الكونية عن فكرة الخلق الإلهي ،والاعتماد على نظرية داروين في التطور.

وللرد على الشبهات التي ثارت حول إنكار وجود الله جمع الشيخ مصطفى بين الدليلين : النقلي والعقلي موظّفا جهود العلماء السابقين الذين ناقشوا قضية الوجود الإلهي من خلاالجمع بين هذين الدليلين، مؤكدا أنّ أدلة القرآن هي أدلة شرعية عقلية، خاطبت الجنس البشري واقامت عليه الحجة العقلية من خلال هذه الأدلة السماعية النقلية .

كما استدل على وجود الله من خلال الكائنات المحسوسة في الخارج ومن تكوينها المتصور في الذهن، وهي لولا الله لما كانت موجوده، فإحساس الإنسان يفسر له ما يدركه عقله، فالإدراك جاء من الله وليس من العدم أو من الطبيعة، كما رأى الشيخ مصطفى صبري أنَّ إرادة الإنسان تدله على وجود الله، بالإضافة إلى أنّ الشيخ قد أكَّد على أنّ وجود الله ضرورة عقلية، وأثبت بطلان آراء الملحدين في مسألة الوجود، والتي تمثلت في أنَّ العالم واجب الوجود فيستغني بنفسه عن الخالق،أو يستغنى عنه باستناده إلى الطبيعة في وجوده، أو عنه باستناده في وجوده إلى موجود مثله، وتفسير ذلك أنَ الكون موجود من غير أي شيء جاء وحده من نفسه، وأنَّه مخلوق من مخلوق وهكذا، بالإضافة على أن يكون الكون لازما يكون موجوداً أزلياً ليس له بداية، لذا وعلى إثر ما ذُكر لن يكون هناك تفسير صحيح للوجود إلا إذا وُضّحت فلسفة الكون على نحو معقول لا يتخلله شيء من المُحْال الباطل.

التوصيات:

- ضرورة نشر المقالات والأبحاث التي تُسهم في التركيز على أهمية التربية المبكرة على مفهوم الإيمان وحقائق العقيدة بحيث تحصل الحصانة القوية في وجه الشكوك والشبهات .
- استخدام وسائل الانترنت والمواقع الدعوية من قبل علماء المسلمين لترسيخ عقيدة توحيد الله سبحانه وتعالى في نفوس المسلمين بحيث يتم الوقوف على الآيات والمشاهد الكونية التي تزيل الشبهات التي يثيرها منكري وجود الله تعالى.
- تطوير المناهج التعليمية بمراحلها المختلفة واستخدام الأدلة والمعجزات الكونية التي تثبت وجود الله سبحانه وتعالى مع إرفاق الصور الطبيعية وآراء العلماء بحيث يتم تخريج أجيال مؤمنة بالله تعالى ومصدقة لآياته ومنكرة لشبهات الملحدين.
- عمل المزيد من الدراسات والأبحاث التي تبرز جهود علماء المسلمين في محاربة الملحدين وأفكارهم وبيان جهودهم العظيمة في المحافظة على الدين الإسلامي.
- استخدام جميع وسائل الإعلام المرئية والمقروءة والمسموعة مع الاستعانة بمجموعة من علماء الدين للتصدي لكل محاولة تثير الشيهات حول إنكار وجود الخالق سبحانه وتعالى.

المصادر والمراجع

المراجع العربية :

القرآن الكريم.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، (1991/1411)، *درء تعارض العقل والنقل*، تحقيق محمد رشاد سالم، ط2، جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (د.ت). مجموعة *الرسائل الكبرى لابن تيمية*.د. ط، المجلد 2. بيروت – لبنان: دار إحياء التراث العربي.

ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (1425هـ – 2004م). مجموع *فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية*، ط الأوقاف السعودية: وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد.

ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر (1432هـ). *مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة*، ط1، 1432، تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد، جدّة: مجمع الفقه الإسلامي.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، *تفسير القرآن العظيم*، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط2، 1420 /1999.

البخاري، محمد بن إسماعيل (1423 – 2002)، *صحيح البخاري*، ط2002/1420، دمشق – بيروت: دار ابن كثير.

بدوي، عبد الرحمن، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دار سينا، مصر، ط2، 1993.

الحجاج، مسلم بن الحجاج، *صحيح مسلم*، ط1، 2006/1427، الرياض، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي. المجلد دار طيبة، الرياض.

حسين، محمد محمد، *الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر*، ط2 1983، مؤسسة الرسالة، بيروت.

حلمي، مصطفى، *الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية*، ط1، 2004/1425، بيروت، دار الكتب العلمية.

الزركلي، خير الدين، *الأعلام*، ط5، 1980، بيروت، دار العلم للملايين.

الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، المِلَل والنِّحَل، مؤسسة ناصر للثقافة، ط1، 1981.

صبري، مصطفى، *موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين*، ط2، 1410، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

صبري، مصطفى، *النكير على منكري النعمة من الدين والخلافة والأمة*، ط1، 2004، بيروت – لبنان، دار الكتب العلمية.

القوسي، مفرح بن سليمان، *الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد*، ط1، 1997/1418، الرياض – المملكة العربية السعودية: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

القوسي، مفرح بن سليمان، مصطفى صبري: المفكر الإسلامي والعالِم العالمي، ط1، 1427/ 2006، دار القلم، دمشق.

محمود، زكي نجيب، أحمد أمين (1936م)، *قصة الفلسفة الحديثة*، د.ط، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

اليميني، سجود بن عبد الرحمن بن محمد اليميني (1428هـ). *منهج وآراء الشيخ مصطفى صبري في التوحيد والنبوة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة*. (رسالة ماجستير منشورة)، جامعة الملك سعود، السعودية.

المراجع الأجنبية:

أغروس، روبرت، وجورج ستانسيو، العلم في منظوره الجديد، ترجمة د. كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم (134)، 1409هـ/ 1989.

داروين، تشارلز، أصل الأنواع، ترجمة إسماعيل مظهر، المملكة المتحدة، مؤسسة هنداوي، 2017.

قائمة المراجع المرومنة:

First : Arabic References :

The Holy Quran.

Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim bin Taymiyyah, (1411 / 1991) *Preventing Conflict of Mind and Transmission*, (in Arabic) *Dar' Ta'arudh Al-Aql wa An-Naql,* Edited by Muhammad Rashad Salem, 2. ed., Imam Muhammad bin Saud University, Saudi Arabia

Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Haleem bin Abdul Salam bin Taymiyyah (d. *The great group of letters by Ibn Taymiyyah*,(in Arabic) *Majmouat Ar-Rasa'el Al-Kubra le Ibn Taymiyyah* . I, Volume 2. Beirut - Lebanon: House of Revival of Arab Heritage.

Ibn Taymiyyah, Ahmad bin Abdul Halim bin Taymiyyah (1425 AH - 2004 AD). *Collections of Fatwas of Sheikh Al-Islam Ahmad Ibn Taymiyyah*, (in Arabic) *Majmoua' Fatawa Shaikh Al-Islam Ahmad bin Taymiyyah* ,Saudi Endowment Ministry: Ministry of Islamic Affairs, Call and Guidance.

Ibn Qayyim al-Jawziya, Muhammad ibn Abi Bakr (1432 AH). *Miftah Dar al-Saada and the publication of the Wilayat al-'Ilm wa'l-i-Willa* ,(in Arabic) , *Miftah Dar Al-Sa'adah wa Manshour Welayat Al-Elm wa Al-Eradah*, ed. 1, 1432, edited by Abd al-Rahman bin Hassan bin Qaid, Jeddah: Islamic Fiqh Academy

Ibn Katheer, Ismail bin Omar al-Qurashi al-Dimashqi, *Interpretation of the Great Qur'an*, (in Arabic)

, *Tafseer Al-Quran Al-Atheem*, investigation by Sami bin Muhammad al-Salamah, Medical House, Riyadh, Saudi Arabia, 2nd Edition, 1420/1999.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail (1423 - 2002), *Sahih Al-Bukhari*, (in Arabic) *Saheeh Al-Bukhari*,

ed. 1420/2002, Damascus - Beirut: Dar Ibn Katheer.

Badawi, Abdul Rahman, *From the History of Atheism in Islam*, (in Arabic) *Min Tarikh Al-Elhad fe Al-Islam*, Dar Sina, Egypt, 2nd Edition, 1993.

Al-Hajjaj, Muslim Bin Al-Hajjaj, *Sahih Muslim*, (in Arabic) *Saheeh Muslim*, 1st Edition, 1427/2006, Riyadh, Edited by: Nazar Bin Muhammad Al-Faryabi. The volume Dar Taibah, Riyadh.

Hussein, Muhammad Muhammad, *National Trends in Contemporary Literature*(in Arabic) *Al-Ettijahat Al-Wataniyyah fe Al-Adab Al-Mu'aser*,, 2nd Edition 1983, The Message Foundation, Beirut.

Helmy, Mustafa, *The Hidden Secrets Behind the Abolition of the Ottoman Caliphate*, (in Arabic)

, *Al-Asrar Al-Khafiyyah Wara' Elgha' Al-Khilafa Al-Othmaniyyah*, 1st Edition, 1425/2004, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Zarkali, Khair El-Din, *Al-Alam*, (in Arabic) , *Al-A'alam*, Beirut, 5th Edition, 1980, Beirut, Dar Al-Alam for millions.

Al-Shahristani, Muhammad bin Abdul-Karim, *Al-Millal and Al-Nahl*, Nasser Foundation for Culture, (in Arabic) 1st Edition, 1981.

Sabri, Mustafa, The Attitude of the Mind, *Science and the World from the Lord of the Worlds*, (in Arabic) *Mawqif Al-Aql wa Al-Elm wa Al-A'alam Min Rab Al-A'almeen*, 2nd Edition, 1410, Beirut, House of Revival of Arab Heritage.

Sabri, Mustafa, *Al-Nukir Ali who denies the grace of religion, the caliphate and the nation*, (in Arabic) *An-Nakeer A'ala Munkree An-Ne'ma Min Ad-Deen wa Al-Khilafah wa Al-Ommah*,1st Edition, 2004, Beirut - Lebanon, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya.

Al-Qawsi, Mufreh Bin Sulaiman, *Sheikh Mustafa Sabri and his position on the foreign thought*, (in Arabic) *Ash-Shaikh Mustafa Sabri wa Mawqifuh min Al-Fikr Al-Wafid*,1st Edition, 1418/1997, Riyadh - Saudi Arabia: King Faisal Center for Research and Islamic Studies.

Al-Qousi, Mufreh Bin Sulaiman, Mustafa Sabri: *Islamic thinker and world scholar*, (in Arabic) *Al-Mufakker Al-Islamy wa Al-A'lem Al-A'alamy*, 1st Edition, 1427/2006, Dar Al-Qalam, Damascus.

Mahmoud, Zaki Naguib, Ahmed Amin (1936 AD), *The Story of Modern Philosophy*(in Arabic) *Qissat Al-Falsafah Al-Hadithah*, Al-Qahirah, DT, Cairo, Committee of Authorship, Translation and Publishing.

Al-Yemeni, Sujood bin Abdul Rahman bin Muhammad Al-Yamini (1428 AH*). Approach and views of Sheikh Mustafa Sabry on monotheism and prophethood in light of the belief of the Sunnis and the community*. (in Arabic) *Manhaj wa A'araa' Ash-Shaikh Mustafa Sabri fe At-Tawheed wa An-Nobuwwah fe dhouh Aqidat Ahl As-Sunnah wa Al-Jama'ah*, (Published master thesis), King Saud University, Saudi Arabia.

- Second: Foreign References:

Agros, Robert, and George Stancio, *Science in its New Perspective*, (in Arabic) *Al-Elm fe Manthoureh Al-Jadeed*, translated by Dr. Kamal Khalili, The World of Knowledge Series, Kuwait, No. (134), 1409 AH / 1989.

Darwin, Charles, *On the Origin of Species*, (in Arabic) *Asl Al-Anwaa'a*, translated by Ismail Mazhar, United Kingdom, Hendawi Foundation, 2017.